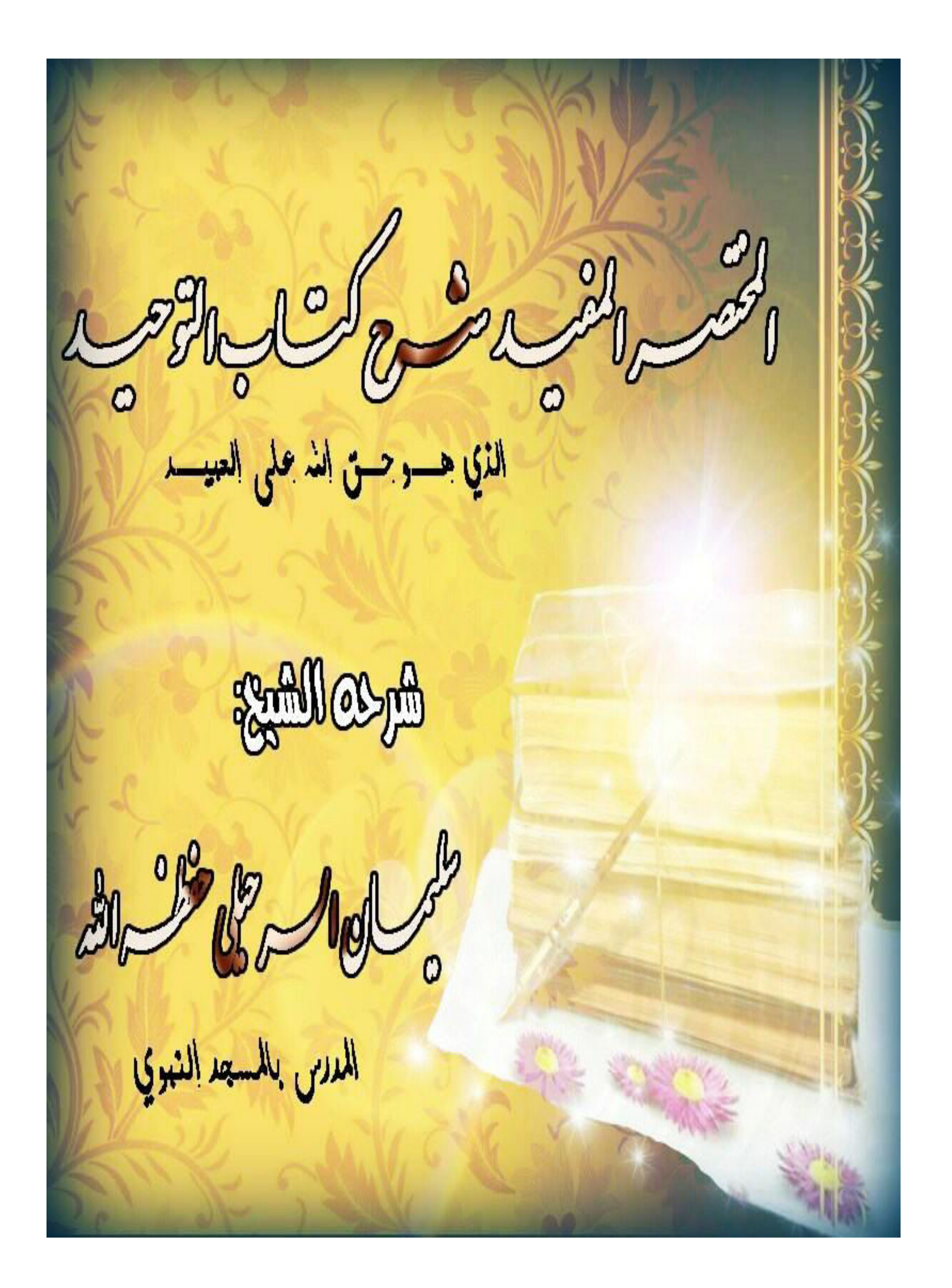

المختصر المفيد شرح كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد
شرحه الشيخ:
سليمان الرحيلي حفظه الله
المدرس بالمسجد النبوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71].

أمَّا بَعد:

فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد – صلَّى الله عليه وسلم –، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

أمَّا بعد:

فنشرع في القسم الثاني من درسنا، وهو المتعلق بشرح كتاب الوحيد.

وقد بيَّنَّا أنّ الشيخ – رحمه الله – بيَّن أهمية التوحيد بوجوه:

- الوجه الأول: **أنّه من أجل التوحيد خُلق الخلق**؛ فخُلق الجنّ والإنس من أجل توحيد الله – سبحانه وتعالى –، وخُلقت المخلوقات من أجل توحيد الله – سبحانه وتعالى –؛ فخُلقت السماء والأرض وما فيها من أجل توحيد الله – سبحانه وتعالى –، من أجل أن يتعرَّف العبد بهذه المخلوقات على ربّه – سبحانه وتعالى –، ويوحِّد الله – سبحانه وتعالى–، ومن أجل أن يستعين بما في الأرض على توحيد الله – سبحانه وتعالى –.
- الوجه الثاني: **أنّ الله – عز وجل – إنّما بعث الرسل من أجل إقامة التوحيد ونبذ الشرك وأهله.**
- والوجه الثالث: **أنّ التوحيد فرضٌ لازم**، وهو أعظم الفرائض على الإطلاق، فما عُرِف فرض على الأرض أعظم من توحيد الله – سبحانه وتعالى –.
- والوجه الرابع: **أنّ التوحيد هو حق الله – سبحانه وتعالى –**، فهو أشرف حقّ وُصف. والمؤمن إذا عرف هذا فإنّه يهتم بالتوحيد اهتمامًا عظيمًا.

➢ تنبيه:

تقدَّم معنا أثر ابن مسعود – رضي الله عنه –، وتكلَّمنا عن إسناده، وقد أفادني أحد الإخوة فائدة، وتحققت منها، وعرفت وجودها، وأردتُ أن أفيدكم بها:

وذلك أنّه تبيّن أنّ الطبراني في المعجم الأوسط قد ذكر في الإسناد: داود الأودي مفسَّرًا بأنه: داود بن يزيد الأودي، وكذا في علل الترمذي، وهذا يقوِّي من قال إنّ الراوي هو داود بن يزيد الأودي.

وقد راجعتُ كلام أهل العلم في التراجم وزدتُ مراجعة ووجدتُ أيضًا أنّ من أهل العلم من ذكر **أنّ** داود بن يزيد الأودي يروي عنه أيضًا محمد بن فضيل؛ فيكون محمد بن فضيل يروي عن داود بن يزيد الأودي، ويروي عن داود بن عبد الله الأودي.

فيتحصَّل لنا في هذا الأثر من جهة إسناده ثلاثة احتمالات:

1- الاحتمال الأول: أن يكون الراوي المبهَم في معظم الكتب التي روت الأثر داود الأودي هو داود بن يزيد الأودي. ويكون الأثر ضعيفًا لضعف داود هذا.

2- الاحتمال الثاني: أن يكون الراوي هو داود بن يزيد الأودي؛ ولكن يكون الحديث حسنًا؛ لأنّ داود بن يزيد الأودي مقارِب الحديث، كما ذهب إلى ذلك الترمذي.

3- الاحتمال الثالث: أن يكون الراوي هنا هو داود بن عبد الله الأودي وهو ثقة؛ وإن ليّنه بعضهم ولم يُترَك، كما قال الذهبي؛ لكنّه ثقة. فيكون الأثر صحيحًا،، كما ذهب إليه بعض شرَّاح كتاب التوحيد، وبعض محقّقيه.

⇦ **فهذه الاحتمالات القائمة في إسناد هذا الأثر؛ والأمر يحتاج إلى مزيد تحقيق، لا يحتمله هذا الشرح.**

فلعلنا إن شاء الله – عز وجل – إذا شرحنا الكتاب شرحًا موسعًا نبسط الكلام في إسناد هذا الأثر، ونحاول أن نصل إلى الراجح المتعيَّن من هذه الاحتمالات الثلاث.

قال المصنف – رحمه الله تعالى -:

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجنّ والإنس.[1]

الثانية: أنّ العبادة هي التوحيد؛ لأنّ الخصومة فيه.[2]

الثالثة: أنّ مَن لم يأتِ به لم يَعبد الله؛ ففيه معنى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.[3]

---

[1] تقدم الحكمة من خلق الجنّ والإنس، وقد بيّنها الله لنا؛ وهي: **أن نوحِّده ونعرفه معرفةً تقودنا إلى التوحيد.**

[2] كما قلنا إنّ العبادة هي التوحيد؛ فالتوحيد رأس العبادات، وشرط العبادات، فلا تكون العبادة عبادة إلا مع التوحيد. وقد دلّت على ذلك الأدّلة.

والشيخ هنا قال: (**لأنّ الخصومة فيه**)؛ خصومة الأنبياء جميعًا مع أمَمِهم إنّما كانت في توحيد الألوهية؛ فدلَّ ذلك على أنّ العبادة هي التوحيد؛ لأنّ الأنبياء جميعًا إنما أَمَروا بالعبادة، واجتناب الطاغوت.

[3] انتبهوا لهذه المسألة فهي في غاية النفاسة، قال: (**أنّ مَن لم يأتِ بالتوحيد لم يَعبد الله**)؛ وإن عبد الله أحيانًا؛ لكن ما دام أنه يشرك بالله – عز وجل – فإنه ما عَبَدَ الله أصلًا.

قال: (**ففيه معنى: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾**)؛ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون ° لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ° وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾، الله– عزّ وجلّ– يقول لنبيّه – صلى الله عليه وسلم–: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ يا من عبدتم الأصنام ونحوها ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: فهذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله لا أعبدها.

❖ فإن قال قائل: هم أحيانًا يعبدون الله. نقول: **لمّا كانوا لا يعبدون الله موحِّدين على الإطلاق فإنهم ما عَبدوا الله أصلًا.**

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فأنا أعبد الله، وأنتم لا تعبدون الله. سبحان الله! نقول: هم يعبدون الله أحيانًا وهم مشركون به، كما قال الله – عز وجل –: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف: 106].

فالمشركون في زمن النبي – صلى الله عليه وسلّم – وإن عرفوا الله، ووحَّدوا الله توحيد الربوبية ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:31] فهم عرفوا الله؛ لكنّهم أشركوا بالله في ألوهيته، بل المشركون في زمن النبي – صلى الله عليه وسلّم – كانوا أحيانًا يوحِّدون الله – سبحانه وتعالى –؛ فإذا ركبوا في الفلك، ورأوا البحر، وخافوا، ورأوا أنّه لا ينجيهم أحد، دعوا الله مخلصين له الدّين. إذا ركبوا في السفن، ورأوا أنه ما لهم قوة مثل الذين يركبون في الطائرة – إذا ركب في الطائرة، وأغلق عليه هذا الصندوق، ما بقي له شيء – إذا رأوا ذلك دعوا الله مخلصين له الدّين؛ إذن وحَّدوا الله هنا في هذا المقام، فلمّا نجاهم إلى البرّ، ورجعوا إلى قومهم، ورأوا قوتهم، إذا هم يشركون.

إذن هؤلاء كانوا يوحّدون الله أحيانًا، ومع ذلك قال لهم النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لماذا؟ لأنّهم وإن عبدوا الله أحيانًا لكنّهم يشركون بالله.

فمَن لم يعبد الله موحِّدًا لله على الإطلاق فإنّه ليس عابدًا لله – سبحانه وتعالى –.

ولذلك الذين يدعون غير الله – سبحانه وتعالى — ودعاء غير الله شرك أكبر يُخرِج من الملَّة– فإنّهم وإن وحَّدوا في صلاتهم، أو صيامهم، أو نحو ذلك، لا يكونون عابدين لله حتّى يَتخلّصوا من هذا الشرك، ويوحِّدوا الله توحيدًا مطلَقًا.

⇦ إذن هذه المسألة نافعة جدًا وهي: أنّ التوحيد لابدّ أن يكون على الإطلاق، التوحيد لا يقبل التجزئة، توحيد الله في عبادته لا يقبل التجزئة؛ بل لا بدّ أن يكون موحّدًا لله على الإطلاق، وإلّا لم كان عابدًا لله – سبحانه وتعالى –.

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل – عليهم الصلاة والسلام –.

الخامسة: أنّ الرسالة عمَّت كلّ أمّة[1].

---

(1) كلّ أمّة قد جاءها رسول؛ قال – تعالى –: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾: ((**كلّ**)) من أقوى ألفاظ العمومّ، وقد أُضيفت إلى نكرة، فيتأكد عمومها؛ إذن الرسالة عمَّت كلّ الأمم، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

وهذا ما جعل بعض أهل العلم يقولون: إنه لا يوجد زمن فترة؛ لأنّه ما من أمّة إلا وقد جاءها رسول؛ لكنّ الصحيح أنّ هناك زمن فترة بين النبي – صلى الله عليه وسلّم – ومن قبله، وهو عيسى – عليه السلام –، قال – تعالى –: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾[المائدة: 19] ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾: يعني على انقطاع من الرسل.

وقد صحّ عن النبي – صلى الله عليه وسلّم – أنّه قال: ((أنا أولى النّاس بعيسى بن مريم، إنّه ليس بيني وبينه نبي))، وهذا في الصحيحين – البخاري ومسلم –؛ إذن كان بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين عيسى – عليه السلام – زمن فترة؛ أمّا قبل ذلك فإنّ الرسل كانت تَتْرا وتتابع؛ فليس هناك فترة وانقطاع إلّا من زمن عيسى – عليه السلام – إلى زمن نبينا – صلى الله عليه وسلّم –، ولم يبقَ من الرسالة إلّا بعض الأخبار التي تصل إلى النّاس.

إذن لا شك أنّ الرسالة عمَّت كلّ أمّة، وأنّه حصل فترة للرسل قبل رسولنا – صلى الله عليه وسلم – . **وفترة:** يعني الانقطاع والسكون. وقد اختلف العلماء في طول هذه الفترة؛ فقال بعض أهل العلم: إنّه ستمائة سنة، وقال بعضهم: إنّه أقل، وقال بعضهم: إنه أكثر. لكن لا شكّ في وجود هذه الفترة.

السادسة: أنّ دين الأنبياء واحد.[1]

---

(1) لأنّ الله – عزّ وجلّ – قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إذن دعوة الرسل واحدة، ودين الأنبياء واحد.

ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : ((أنا أولى النّاس بعيسى بن مريم – عليه السلام – في الدنيا والآخرة، الأنبياء إخوة لعلّات)) و**العلاّت**: كما قال ابن حجر: الضرائر. فهم إخوة لأب؛ لأنّهم من ضرائر متعددات. ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((أمهاتهم شتى، ودينهم واحد)).

✓ ما المقصود بالأمهات هنا؟

← قال بعض أهل العلم: الأمهات يعني الأزمنة، أزمنتهم مختلفة، ولكنّ دينهم واحد، أصل دينهم واحد وهو: الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

← وقال بعض أهل العلم: المقصود بأمهاتهم: الشرائع. والدين: المقصود به الأصول. التوحيد، والنهي عن الشرك.

والشاهد: قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ودينهم واحد))، فدين الأنبياء واحد؛ وهو: الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك.

السابعة: المسألة الكبيرة: أنّ عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.[1]

الثامنة: أنّ الطاغوت عامٌّ في كل ما عُبِد من دون الله.[2]

---

(1) لابدّ من الأمرين: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله؛ حتّى يكون الإنسان موحِّدًا –كما تقدّم–

.

(2) وشيخ الإسلام في بعض كتبه قيّد ذلك بقوله: (إن رضي بذلك)، ولا تنافي بين الأمرين:

فالطاغوت عامٌّ في كلّ ما عُبِد من دون الله بالنسبة للمتخِّذ، فمَن اتخذ أحدًا يعبده من دون الله فقد اتخذه طاغوتًا؛ فيكون ظالمًا من جهتين:

1–يكون ظالمًا؛ لأنّه عبد غير الله فأعطى غير الله حقّ الله.

2–ويكون ظالمًا لمن اتّخذه طاغوتًا إن لم يكن طاغوتًا في حقيقته.

فالنصارى الذين يعبدون عيسى – عليه السلام – ظلموا مرتين:

- ظلموا لأنّهم عبدوا غير الله.
- وظلموا عيسى – عليه السلام –؛ لأنّهم اتّخذوه طاغوتًا مع أنّه ليس طاغوتا – عليه السلام –؛ وإنّما عبد الله ورسوله –كما سيأتينا إن شاء الله –.

فهنا نقول: الطاغوت عامٌّ في كلّ ما عُبد من دون الله ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فجُعِل الطاغوت في مقابل عبادة الله.

⇦ إذن كل مَن عُبد مِن دون الله فهو طاغوت بالنسبة لاتّخاذه، بالنسبة لمُتَّخِذه.أمّا تقييدها بأنه (إن رضي) فهذا بالنسبة لذاته، لا يكون طاغوتًا إلّا إذا أمر بعبادته أو

رضي بعبادته. وبعض أهل العلم يزيد: (أو لم يكره أن يُعبد). وبعض أهل العلم لا يزيد هذا.

التاسعة: عظم شأن الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل: أولها: النهي عن الشرك.[1]

---

(1) هذه الآيات العظيمة فيها معالي الأمور؛ ففيها عشر مسائل:

- المسألة الأولى: النهي عن الشرك.
- المسألة الثانية: الوصية بالوالدين.
- المسألة الثالثة: النهي عن قتل الأولاد وهنا فائدة عظيمة؛ وهي: أنّ قتل الأولاد خشية الفقر حرام مرتين: أنّه قتل، وأنّ فيه إساءة الظنّ بالله – سبحانه وتعالى –؛ فإنّ الله – عزّ وجلّ– وعد وعدًا لا بدّ منه وهو: أن يرزق الآباء مع أبنائهم، أو يرزق الأبناء مع آبائهم.

ولذلك يَحرُم تحديد النسل خوفًا من الفقر؛ لأنّ فيه إساءة ظنٍّ بالله، وردًّا لكلام الله –سبحانه وتعالى–. والنبي – صلى الله عليه وسلم – سئل عن العزل، فقال: ((ذلك الوأد الخفي))، فذهب المحقّقون من أهل العلم إلى أنّ هذا يدلّ على كراهية العزل؛ لأنّه ثبت أنّهم كانوا يعزلون في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –، لكن إذا كان العزل وتحديد النسل خوفًا من الفقر فهذا حرام؛ لأنّ فيه إساءة ظن بالله – سبحانه وتعالى –، وردًّا لكلامه.

- المسألة الرابعة: النهي عن قربان الفواحش: نهانا الله عن قربان الفواحش؛ لأنّ من اقترب من الفاحشة أوشك أن يقع فيها، والسلامة لا يعدلها شيء.

ولذلك المشروع لنا أن نبتعد عن الفواحش، وأن نبتعد عن أهلها، والفواحش هنا: هي الذنوب، فنبتعد عن الذنوب.

- المسألة الخامسة: النهي عن قتل النفس المعصومة إلّا بالحقّ.
- المسألة السادسة: النهي عن قربان مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن.
- المسألة السابعة: الوفاء بالكيل والميزان.
- المسألة الثامنة: الأمر بالعدل.

- المسألة التاسعة: الأمر بالوفاء بالعهد.
- المسألة العاشرة: الأمر باتباع صراط الله المستقيم، واجتناب السبل المفرِّقة. وكل ما خالف صراط الله المستقيم فهو من السبل المفرِّقة التي تدعو إليها شياطين الإنس والجنّ.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثمانية عشر مسألة[1]؛ بدأها الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾؛ ونبهنا الله – سبحانه – على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾. [1]

الحادية عشر: آية سورة النساء، التي تسمى: آية الحقوق العشر[2]. بدأها الله – تعالى – بقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾. [2]

---

(1) قوله : (**فيها ثمانية عشر مسألة**) كذا في الأصول، والصواب: ثماني عشرة مسألة؛ لأنّه من ثلاثة إلى تسعة تخالف المعدود، و(مسألة) هنا مؤنث؛ فيقال: ثماني عشرة مسألة.

وهذه الثماني عشرة مسألة أكثرها مشترك مع المسائل العشر المتقدِّمة، وفيها زيادة تظهر بقراءة الآيات. **لكن هنا فائدة وهي: أنّ الله – عز وجل – بدأ هذه المسائل بالنّهي عن الشرك، وختمها بالنهي عن الشرك، فسوَّرها بالتوحيد؛ فدل ذلك على أنها لا تنفع إلا بالتوحيد.**

(2) الحقوق العشرة في هذه الآية هي:

- الأول: حقّ الله، ويتضمن حقّ النبي – صلى الله عليه وسلم –.
- الثاني: حقّ الوالدين.
- الثالث: حقّ ذوي القربى.
- والرابع: حقّ اليتامى.
- الخامس: حقّ المساكين.
- السادس: حقّ الجار القريب. والقريب هنا وصفٌ عام يشمل قرب النسب وقرب المكان. الجار القريب نسبًا: عمك، ابن عمك، خالك. والقريب مكانًا: فيكون بيته ملاصقًا لبيتك.

- السابع: حقّ الجّار ذي الجنب. وهو الجار البعيد نسبًا أو مكانًا. فجارك له حقّ، ولو لم يكن قريبًا لك، ولو لم يكن من قبيلتك، ولو لم يكن من دولتك؛ بل حتّى لو لم يكن على دينك، له حقّ، ما دام له الحقّ في السكنى بجوارك فله حقّ الجوار؛ ولذلك كان ابن عمر –رضي الله عنهما– إذا ذبح شاة يتصدقّ بها أوّل ما يسأل يقول: أهديتم لجارنا اليهودي؟ لأنّه قد يُغفَل عنه. فالجار البعيد لعدم قرابته أو لعدم إسلامه وله الحقّ في السكنى فإنّ له حقّا.

وكذلك الجار البعيد في المكان، ليس ملاصقًا لبيتك، ولكنّه يُعدُّ من جيرانك، فله حقّ.

- الثامن: حقّ الزوجة.
- التاسع: حقّ ابن السبيل.
- العاشر: حقّ ملك اليمين.

الثانية عشر: التنبيه على وصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند موته.[1]

الثالثة عشر: معرفة حقّ الله علينا. [2]

الرابعة عشر: معرفة حق العباد عليه إذا أدَّوا حقه.[3]

الخامسة عشر: أنّ هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.[4]

السادسة عشر: جواز كتمان العلم للمصلحة. [5]

السابعة عشر: استحباب بشارة المسلم بما يسره.[6]

---

(1) كما في أثر ابن مسعود.

(2) وهو أن نعبده، ولا نشرك به شيئًا.

(3) وهو أنّ الله تفضَّل فجعل على نفسه حقًّا: ألا يُعذِّب من وحَّده فعبده، ولم يُشرِك به شيئًا.

(4) لأنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – إنّما أخبر بها معاذًا، وقال: «أفلا أبشر الناس؟ قال: (لا)»؛ مخافة أن يتكلوا، فدل ذلك على أنّ أكثر الصحابة ما كان يعرف هذه المسألة.

(5) الأصل أنّه لا يجوز كتمان العلم؛ لكن يجوز كتمانه أحيانًا، فيجوز كتمانه للمصلحة على أن يُبذَل في غير هذا الموطن.

(6) وهذه من الآداب:أن تبشِّر المسلم بما يسرُّه، فإذا بلغك خبر يسرُّ المسلم فمِن الأدب أن تعاجِله به لتُدخل السرور على قلبه فتنال ثواب ذلك؛ والعكس بالعكس، إذا علمتَ خبرًا يغمُّه، وليس في مصلحته أن تعاجِل بإخباره به؛ فالمستحبّ ألا تَعجَل به. بعض النّاس إذا سمع خبرًا يغمّ إنسانًا بادَر بإخباره به، وهذا يخالف الأدب إلّا إذا كانت المصلحة تقتضي أن يبادَر بإخباره به.

فمن الأدب أنّك إذا سمعتَ خبرًا عن أخيك، وهذا الخبر يُدخِل الغمّ إلى قلبه ألا تَعجل به، وألّا تخبره به إلّا إذا وجدتَ أنّ مصلحته في أن تخبره بهذا الخبر.

الثامنة عشر: الخوف من الاتّكال على سعة رحمة الله.[1]

التاسعة عشر: قول المسؤول عما لا يعلم: (الله ورسوله أعلم).[2]

---

(1) لا شكّ أنّ رحمة الله واسعة؛ لكنّ الخوف من الاتكال عليها، وترك العمل بسبب ذلك. فإنّ رحمة الله واسعة لا شك فيها، وإنما يكتبها الله – عز وجل – للمتقين. فالاتكال على سعة رحمة الله، وترك العمل، والسعي لإرضاء الله – سبحانه وتعالى – غرور.

(2) حكم قول (الله ورسوله أعلم):

1- في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – الأمور تنقسم إلى قسمين:

←القسم الأول: الأمور الشرعية. وهنا يقال: (الله ورسوله أعلم).

←القسم الثاني: الأمور الغيبية. والرسول – صلى الله عليه وسلّم – لا يعلم الغيب، وهنا يقال: (الله أعلم). **ويصحّ أن يقال: (الله ورسوله أعلم)؛ باعتبار الخبر**، يعني إذا أوحى الله – عز وجل – إلى النبي – صلى الله عليه وسلّم – بالأمور الغيبية أصبح النبي – صلى الله عليه وسلّم – أعلم بها. **أمّا من جهة الإطلاق فالنبي – صلى الله عليه وسلم – لا يعلم الغيب إلا إذا أطلعه الله – سبحانه وتعالى –.**

2-ولكنّ المسألة فيما كان بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – هل يقال: (الله ورسوله أعلم) أو يقال: (الله أعلم)؟ قال العلماء: إنّ السؤال هنا إمّا أن يكون :

① عن أمر شرعي واقع؛ وهنا يقال: (الله ورسوله أعلم).

② وإمّا أن يكون عن أمر شرعي نازِل الآن ما كان في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ كأن يسأل الإنسان مثلًا: هل يجوز أن يقود الإنسان السيارة من جهة اليمين أو من جهة الشمال؟ هذه السيارة نازلة الآن ما كانت موجودة، وكونه يقود من جهة اليمين أو من جهة الشمال هذه نازلة فهل يقول: (الله ورسوله أعلم) أو يقول: (الله أعلم)؟

– بعض أهل العلم يقول: يقول: (الله أعلم)؛ لأنّ هذا من الأمور النازلة.

– وبعض أهل العلم يقول: يجوز أن يقول: (الله ورسوله أعلم) باعتبار أنّ هذا حكم شرعي؛ والأحكام الشرعية عُلِمت للنبي – صلى الله عليه وسلم – تأصيلًا وتفصيلًا؛ يعني إمّا على جهة الإجمال أو إمّا على جهة التفصيل، وما دام أنّه حكم شرعي فيجوز أن يقول: (الله ورسوله أعلم).

3– وأمّا غير الأمور الشرعية فلا يجوز أن يقال: (الله ورسوله أعلم)، في النوازل التي وقعت بعد موته – صلى الله عليه وسلم –؛ وإنما يقال: (الله أعلم) يقينًا.

ولا يجوز أن يقال: (الله ورسوله أعلم) فيما يتعلق بغير الأحكام الشرعية مما وُجِد بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم –.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه – صلى الله عليه وسلم – لركوبه الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة. [1]

---

(1) بشرطين:

1. أن تكون مما يركب: يجوز أن تُركب الدابة إذا كانت من الدّواب التي تُركب؛ أمّا إذا كانت من الدواب التي لا تُركب ولم تخلق للركوب فلا يجوز الركوب عليها.

2. أن تطيق ذلك: يجوز الركوب عليها إذا أطاقت، يجوز أن يركب عليها واحد إذا كانت مطيقة، يجوز أن يركب عليها اثنان إذا كانت مطيقة، يجوز أن يركب عليها ثلاثة إذا كانت مطيقة، يجوز أن يركب عليها أربعة إذا كانت مطيقة.

أمّا إذا لم تكن مطيقة فلا يجوز الركوب عليها، لو كانت لا تطيق من ضعفها ركوب واحد، إذا ركب عليها بركت ما تستطيع، لا يجوز الركوب عليها. إذا كانت لا تطيق أن يركب عليها اثنان فلا يجوز أن يركب عليها اثنان. **والأحاديث الواردة في منع ركوب الثلاثة على الدابة كلّها ضعيفة، ولو صحت لحُمِلت على إذا كانت لا تطيق ذلك؛** لأنّه ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنّه أردف اثنين على الدّابة فكانوا ثلاثة، النبي – صلى الله عليه وسلم – ومَن أردفهما. فيُحمَل ذلك على إذا ما كانت مطيقة، والنهي لو صحّ يُحمَل على إذا كانت لا تطيق ذلك.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ رضي الله عنه. [1]

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة. [2]

---

(1) كما قلنا كان النبي – صلى الله عليه وسلّم – يحبّه، ويقول: ((يا معاذ والله إني لأحبك))، وقال: ((يُحشَر معاذ قبل العلماء برتوة)) كما تقدم معنا.

(2) وفي بعض الأصول: عظم شأن هذه المسائل، فقوله: عظم شأن هذه المسائل: أي المسائل التي ذكرها هنا. وقوله: عظم شأن هذه المسألة؛ أي: تحقيق التوحيد، وأهميّة التوحيد.

بابٌ [1]: فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب.

---

(1) قال: بابٌ أو بابُ.

(2) المقصود بهذا الباب:

1- **بيان أنّ التّوحيد أعظم أسباب دخول الجنّة بفضل الله**: فالتوحيد أعظم أسباب دخول الجنّة بفضل الله. لا شكّ أنّه لن يدخل أحد الجنّة بعمله، وإنّما تُدخل الجنّة بفضل الله؛ لكن من فضل الله أنّه جعل لدخول الجنّة أسبابًا، وأعظم أسباب دخول الجنّة هو: التوحيد؛ بل **كلّ سببٍ رُتِّب عليه دخول الجنّة لا يكون سببًا لدخول الجنّة إلّا مع التوحيد.**

فالسنن الرواتب مثلًا مَن أتى بهنّ فإنّه موعود بدخول الجنّة؛ لكنّها لا تكون سببًا لدخول الجنّة إلّا مع التوحيد؛ وإلّا ما كانت عبادة لله - سبحانه وتعالى -.

⇦ **إذن التوحيد هو أعظم الأعمال الصالحة وشرط صلاح الأعمال؛ فلابدّ في صلاح الأعمال من التوحيد، والأعمال الصالحة هي أسباب دخول الجنّة بفضل الله - سبحانه وتعالى -.**

2- **وأنّه أعظم أسباب النّجاة من النّار**؛ وذلك لوجهين:

- الوجه الأول: التوحيد ثقيل في الميزان؛ ومن المعلوم أنّ أعمال العبد توزَن يوم القيامة قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: 8-9].

فالأعمال توزَن يوم القيامة، والتوحيد عملٌ ثقيل، فلو كان على الإنسان سيئات ووُزِنت في كفّة السيئات، وهو موحِّد، ووُزنت أعماله الصالحة في كفّة الصالحات؛ ترجّحت كفّة الصالحات بالتوحيد - وهذا سيأتي إن شاء الله له قيد نذكره - .

⇦ **هذا الوجه الأوّل وهو ما يُسمى بالرُّجحان: النّجاة من النّار بِرُجحان كفّة الأعمال الصالحة.**

- والوجه الثاني: التوحيد تُكفَّر به الذنوب، والذنوب هي سبب دخول النّار؛ فإذا كُفِّرت الذنوب سلِم الإنسان من دخول النّار ابتداءً، أو من الخلود فيها إن دخلها – كما سيأتي بيانه إن شاء الله –.

إذن المقصود بفضل التوحيد: أنّه سبب للفوز بالجنّة، وسبب للنّجاة من النّار.

إذن هو سبب الفوز؛ فإنّ الفوز إنّما هو بدخول الجنّة والنّجاة من النار.

جعلني الله وإياكم من أهل هذا المقام.

وقول الله – تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا[1] وَلَمْ يَلْبِسُوا[2] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ[3] أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ[4]﴾.

قال تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – : ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81]، جاء الجواب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ﴾.

(1) أي: الذين وحّدوا.

(2) أي: لم يخلطوا.

(3) الظلم هنا هو الشرك؛ أي : الذين آمنوا ولم يخلطوا توحيدهم بِظُلْم؛ أي: بِشِرْك، بكلّ أنواع الشرك: لا بالشرك الأكبر، ولا بالشرك الأصغر، ولا بالشرك الخفي.

✓ ما الدليل على أنّ الظلم هنا هو الشرك؟

1- ما رواه البخاري في الصحيح أنّه لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ﴾ قال أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – : ((أيُّنا لم يظلم؟))؛ فأنزل الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: 13]. إذن في هذه الرواية في صحيح البخاري فسّر الله لهم الظلم بأنّه الشرك بإنزال هذه الآية ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

2- وفي الصحيحين أنّه لما نزلت هذه الآية قال الصحابة– رضوان الله عليهم -: ((يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه؟ قال: (ليس كما تقولون –﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ بشرك–، أ لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾))).

وفي هذه الرواية في الصحيحين أنّ الذي فسَّر لهم هو النبي – صلى الله عليه وسلّم –، ولا مانع من الأمرين:

- أنّ الله أنزل هذه الآية ليبيّن لهم معنى الظلم.

- وبيَّن لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، فيكون اجتمع هنا بيان الله لهم المراد بالظلم هنا، وبيان النبي - صلى الله عليه وسلّم -.

(4) المراد بالأمن والهداية هنا:

- قال كثير من أهل العلم: المراد به الأمن يوم القيامة (الأمن من عذاب الله يوم الفزع الأكبر، وهذا أعظم أمن ولا شكّ)؛ ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ قالوا: في الدنيا.

فوصفُهم في الدّنيا أنّهم مهتدون، وجزاؤهم في الآخرة أنّ لهم الأمن.

- لكنّ التحقيق: **أنّ لهم الأمن في الدّنيا والآخرة، وأنّهم مهتدون في الدّنيا والآخرة.**

←الأمن في الدنيا: هو طمأنينة القلب، فالمؤمن الموحِّد لا يخاف في الدنيا خوف السرّ، لا يخاف من غير الله أن يضرّه من دون الله، فهو موحِّد، آمن، قلبه مطمئن؛ ويدلّ لذلك: ما جاء في الآية التي قبلها ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾؛ أي: في الّدنيا.

إذن المقصود: أنّ المؤمن له طمأنينة القلب في الدّنيا، فلا يخاف خوف السرّ من أحد.

أمّا الذين لا توحيد عندهم، أو عندهم ضعف في التوحيد يخافون خوف السرّ من غير الله - سبحانه وتعالى -؛ يخافون من النّاس، يخافون من الجنّ، يخافون من الشياطين: إذا جاء إنسان، وقال: هذا الذي يُعبد من دون الله لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، وعبادته من دون الله شرك؛ قالوا له: اسكت، يضرّك. وإذا قال: لا تعبدوا الجنّ، ولا تتقربوا إليهم؛ قالوا: اسكت، يضرك. إذا قال: الساحر كافر، دجّال، لا خير فيه؛ قالوا: اسكت، يضرك. يخافون وهم في بيوتهم، يخافون من الساحر أو الكاهن أن يضرّهم، هذا خوف السر.

أمّا الموحِّد آمن، لا يخاف إلّا من الله - سبحانه وتعالى -.

⇦ **فالأمن في الدنيا حقيقته أمن القلوب، مَن لم يأمن قلبه فليس بآمن.**

ما دام أنّ الخوف في القلب، والله لو اجتمع جنود الأرض حول إنسان حصل الخوف في قلبه، ما حصل له الأمن، لكن مَن رزقه الله الأمن في القلب فهو الآمن حقيقة، وهذا

معنى قول بعض السلف: ((**إنّا لفي أمر لو علمت به الملوك لجالدونا عليه بالسيوف**))، وهو طمأنينة القلب ونعيمه.

القلب فيه الأمن بالتوحيد، وفيه النّعيم بعبادة الله – سبحانه وتعالى – .

←الأمن في الآخرة: الأمن التّام، وهو الأمن من عذاب الله.

←الهداية في الدنيا : أي مهتدون في الدنيا إلى ما يرضي الله.

←الهداية في الآخرة: أي مهتدون في الآخرة إلى ما يرضيهم به الله، فالمؤمن في الدنيا يسعى إلى إرضاء الله، والله في الآخرة يعطيه ما يرضيه.

⇦ **فهم مهتدون في الدنيا إلى ما يرضي الله بتوحيده – سبحانه وتعالى –، ومهتدون في الآخرة إلى ما يرضيهم به الله – سبحانه وتعالى –.**

إذن الأمن للموحِّدين في الدّنيا والآخرة، والهداية للموحِّدين في الدّنيا والآخرة.

وهذا الأمن والهداية بمقدار ما يكون من التوحيد.

فقد يكون للإنسان الأمن التام، إذا حقّق التوحيد بالصورة التي سنذكرها إن شاء الله؛ وقد يكون له نوع الأمن، وليس الأمن التام، وذلك إذا حصل نقص في توحيده.

فمثلًا : يوم القيامة كلُّ مؤمن عنده إيمان فهو آمِنٌ من عذاب الخلود، لكن ليس كلّ مؤمن آمنًا من عذاب الدخول. فالعذاب نوعان:

① عذاب خلود: وهو الخلود في النّار – والعياذ بالله –، وكلّ مؤمن عنده إيمان آمن من عذاب الخلود، لا يوجد مؤمن يخلَّد في النّار.

② عذاب الدخول:

- وهذا من المؤمنين من يكون آمن منه أيضاً؛ فلا يدخل النّار، وإنّما يردُها بالمرور على الصراط ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم: 71]؛ يعني: يمرّ على الصراط.

- ومن المؤمنين مَن يدخل النّار فلا يكون آمنًا من دخول النّار؛ لنقصٍ فيه، ونقصٍ في توحيده؛ ولكنّه لا يُخلَّد في النّار – كما دلّت عليه الأدّلة –.

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((مَن شهد[1] أن لا إله إلا الله[2] وحده لا شريك له[3]، وأنّ محمدًا عبده ورسوله[4]، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله[5]، وكلمته[6] ألقاها إلى مريم[7] وروح منه[8]، والجنّة حقّ، والنّار حقّ؛ أدخله الله الجنّة على ما كان من العمل[9]))، أخرجاه.

هذا الحديث العظيم قال فيه النبي – صلى الله عليه وسلّم –:

(1) مَن تيقن بقلبه، وأقرّ بلسانه، وحقّق بعمله هذه الشهادة.

← **فلابدّ أن يتيقن بقلبه:** أمّا إذا قالها بلسانه، ولم يتيقن بقلبه فهذا قول المنافقين، وقد كذَّبهم الله في هذا، فهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله؛ فلابدّ من يقين القلب.

← **ولابدّ من نطق اللسان** لمن كان قادرًا، أمّا الذي لا يستطيع أن يتكلم فلا يُشترَط.

← **ولابدّ من تحقيق العمل**، فإنّ لا إله إلا الله مفتاح الجنة، والمفتاح له أسنان لابدّ منها؛ فلابد من تحقيق العمل.

❖ ولفظ الشهادة هنا (**مَن شَهِدَ**) فيه فائدة، وهي: أنّ هذه الشهادة لابدّ أن تُبنى على العلم؛ لأنّ الشهادة شرعًا شرطها: أن تُبنى على العلم:

- قال – تعالى –: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: 86].
- وقال – تعالى –: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: 19].

(2) أي: لا معبود بحقّ إلّا الله. لا إله: يعني لا معبود؛ ولكن لابدّ من زيادة (بحقّ)؛ لأنه توجَد آلهة النّاس يعبدونها مثل: الشجر، النّار، بوذا... لكن كلّها بغير حقّ.

(3) (لا إله إلا الله) ركناها: النفي والإثبات.

هنا (**وحده**): تأكيد لركن الإثبات؛ وهو أنّ الله هو المعبود المستحقّ للعبادة – سبحانه وتعالى – وحده.

و(**لا شريك له**): تأكيد للنفي؛ فلا معبود بحقّ إلّا الله، فلا شريك لله – سبحانه وتعالى –.

(4) وتأمل هنا وقِف: (**وأنّ محمدًا**) – صلى الله عليه وسلم –:

– (**عبده**): عبد الله؛ هذا تشريف للنبي – صلى الله عليه وسلم –، فهذه الإضافة للتشريف.

– (**ورسوله**): فالنبي – صلى الله عليه وسلّم – عبد لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب.

فالنبي – صلى الله عليه وسلّم – عبدٌ شريف، شرَّفه الله بالرّسالة، فهو عبد لا يُعبَد، فلا يدعى من دون الله، ولا يستغاث به، ولا ينذر له – صلى الله عليه وسلم –؛ وهو رسولٌ لا يُكذَّب – صلى الله عليه وسلم –.

❖ وفي هذا يا إخوة ردٌّ على طائفتين:

← **ردٌّ على الغُلاة**:الذين يرفعون النبي – صلى الله عليه وسلم – فوق منزلته، ويجعلون له ما لله – سبحانه وتعالى –، ويقولون — عياذًا بالله ممّا يقولون –: إنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – يملك الدّنيا والآخرة، ويعطي الدّنيا والآخرة لمن يشاء، وأنّه يعلم الغيب، وأنّه لا نجاة لأحد يوم القيامة إلّا بفضله. فما تركوا شيئًا لله إلّا جعلوه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وخالفوا ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ووقعوا فيما نهى عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ فلم يجعلوه عبدًا لله؛ وإنّما جعلوه شريكًا لله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا –.

← **وردٌّ على الجُفَّاة**:الذين يُنْزِلون النبي – صلى الله عليه وسلّم – عن منزلته، فمنهم من يقول اليوم: أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلّم– مثل كلام البشر نقبل منها ما يوافق عقولنا، ونردّ ما يخالف عقولنا؛ لأنّه مثله مثل غيره، كلامه مثل كلام غيره، لا مزيّة له.

وكذلك الذين يرفعون بعض النّاس فوق النبي – صلى الله عليه وسلم –، كبعض الذين

يرون أنّ شيوخهم وشيوخ طرقهم فوق النبي – صلى الله عليه وسلم – كما يقول قائلهم:

مقام الولاية في برزخ فويق الرسول ودون النبي

فالأعلى عندهم هو الولي، ثمّ الرسول، ثمّ النبي؛ فيجعلون الولي – والعياذ بالله – فوق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

هؤلاء جفاة في حقّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غلاة في حقّ شيوخهم.

⇦ **أمّا أهل الإيمان الذين يسيرون في طريق الجنّة، فيشهدون أنّ محمدًا – صلى الله عليه وسلّم – عبد الله، فهو عبد لا يُعبَد، ولا يُجاوَز به حدَّه – صلى الله عليه وسلم –؛ ورسولٌ لا يُكذَّب، فلا يوجد مؤمن يعرف حقّ النبي – صلى الله عليه وسلّم – يقول النبي – صلى الله عليه وسلّم – بشر كالبشر، هو بشر شرّفه الله بالرسالة – صلى الله عليه وسلّم –، هو سيّد ولد آدم – صلى الله عليه وسلّم –.**

فهذا هو الطريق الصحيح طريق الجنة: أن نشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.

(5) فعيسى – عليه السلام – نشهد أنّه:

عبد الله ورسوله وفي هذا أيضًا ردٌّ على الغلاة، والجفاة في حقّ عيسى – عليه السلام –:

← **الغُلَاة**: النَّصارى الذين يقولون أنّ عيسى – عليه السلام –ابن الله، وأنّه ثالث ثلاثة. وبعضهم يقول: خُلِق منه الخلق.

← **والجفاة**:اليهود – قبّحهم الله – الذين يقولون: إنّ عيسى – عليه السلام – وأعوذ بالله مما قالوا– ابن زنى، وأنّه يستحقّ القتل، ويزعمون أنّهم صلبوه، وما صلبوه.

⇦ **نشهد أنّ عيسى – عليه السلام – عبد الله: فليس ولدًا لله، ولا له شريك أبدًا.**

(**ورسوله**) فهو رسول من رسل الله، والمسلمون هم الأمّة الوحيدة التي تؤمن بجميع الرسل؛ لكنّ الذي يُتَّبع هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؛ ولذلك عيسى – عليه السلام – إذا نزل في آخر الزمان سيحكم بشريعة محمد – صلى الله عليه وسلم –.

وفي رواية عند مسلم: ((وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته))، (ابن أمته) فليس ابنًا لله.

(6) عيسى – عليه السلام – من البشر، عاش عيشة البشر، كان يأكل الطعام – عليه السلام –، فهو ليس كلمة؛ وإنّما هو بشريّ.

✓ إذن ما معنى (**وكلمته**) هنا؟

معناه: أنه خُلِق بالكلمة؛ وهي (كُنْ).

فعيسى – عليه السلام – اختُصَّ عن سائر البشر بجزء ممّا اختُص به آدم في خلقه.

آدم – عليه السلام – خُلق بالكلمة (كن) فيكون، ولكنّه خُلق من تراب؛ أمّا عيسى – عليه السلام – فخُلق بالكلمة (كن) فكان؛ ولكنّه خُلق في رحم أمّه، فاختُص بجزء ممّا اختّص به آدم – عليه السلام – في خلقه، ما أحدٌ شارَك عيسى في هذا من البشر، وهو هذا الاختصاص بهذا الجزء ممّا اختُص به آدم – عليه السلام – في خلقه.

⇦ إذن (**وكلمته**) أي: أنّه خُلِق بالكلمة (كن) فيكون.

(7) فخُلق في رحم مريم – عليها السلام –؛ وليس كما يقول الدّجالون النّصارى في كتبهم المحرَّفة: إنّ عيسى – عليه السلام – جاء إلى مريم فاستأذنها، فأذنت له، فدخل؛ يعني ما خُلق في رحمها بل كان مخلوقًا خارج ذلك، لأنهم يقولون: إنّه ابن الله – تعالى الله علوًّا كبيرًا –؛ فدخل – انظروا الخرافة، وضعف العقل – قالوا: وفَرَشَ – فرش في الرحم –، وقال: لا يكلمني أحد إلّا بعد تسعة أشهر.

⇦ **عيسى – عليه السلام – خُلِق بكلمة (كن)، أُلقيت إلى مريم – عليها السلام –، فخُلق في رحم أمّه؛ ولذلك هو ابن مريم – عليهما السلام –.**

(8) روحٌ من الله – سبحانه وتعالى –؛ أي: نُفِخت فيه الروح التّي هي من أمر الله – سبحانه وتعالى –؛ فهي من مخلوقات الله نُفخَت بأمر الله – سبحانه وتعالى –، وأضيفت إلى الله تشريفًا؛ لأنّ المقام مقام تشريف، فنُفخت فيه الروح بأمر الله – سبحانه وتعالى –؛ أي: أنّ هذه الروح كانت بأمر الله – سبحانه وتعالى –.

(9) وعند مسلم: ((أدخله الله من أيِّ أبواب الجنّة الثمانية شاء)). وجاء عند البخاري زيادة: ((أدخله الله الجنّة على ما كان من العمل من أبواب الجنّة الثمانية أيُّها شاء)).

✓ ما معنى: **(أدخله الله الجنة على ما كان من عمل)؟**

للعلماء في تفسيرها ثلاثة أقوال:

① **القول الأول**: أنّ معناها: على ما كان من صلاح أو فساد من عمله.

فالمؤمن الموحِّد لابدّ أن يدخل الجنة حتّى لو كانت له ذنوب كثيرة، ولم يغفرها الله له، ودخل بها النّار لا بدّ أن يخرج من النّار، ويدخل الجنّة.

② **القول الثاني**: أنّ معناها: أنّ درجات الموحِّدين في الجنّة على حسب أعمالهم.

وهذا معنى قول بعض أهل العلم: ((يدخل النّاس الجنّة بفضل الله، ويتفاوتون في درجاتها بأعمالهم)). يعني يكون النّاس في الجنّة بحسب أعمالهم، فيرتفعون درجات في الجنّة بحسب أعمالهم.

③ **القول الثالث**: أنّ دخوله الجنّة على ما كان من عمله:

- فقد يدخل الجنّة ابتداءً: إذا كانت له أعمال صالحة وأعمالٌ سيئة غفرها الله له، أو رجحت بها الأعمال الصالحة.

- وقد يُبطئ به عمله الفاسد عن دخولها ابتداءً، فلا يدخلها ابتداءً وإنّما يدخلها انتهاءً.

فقوله – صلى الله عليه وسلم –: **(على ما كان من عمل)** على هذا القول الثالث يعني: أنّ دخوله الجنة مبنيّ على ما كان من عمله؛ فقد يُسرِع به عمله إلى الجنّة، فيدخلها ابتداءً؛ وقد يبطئ به عمله السَّيِئ عن دخول الجنّة ابتداء، فلا يدخلها ابتداء.

⇦ **وبهذا، نعرف أنّ العمل لابدّ منه، وأنّ الاتكال على الشهادة فقط بدون عمل إنّما هو من غرور الشيطان.**

توضيح لما يتعلق بالعلّة:

العلّة نوعان:

1. علّة لابدّ من وقوع معلولها.
2. علّة يمكن أن يقع معلولها ويمكن أن لا يقع.

←أمّا الأولى فمثالها: يقال: خُلق الإنسان ليموت؛ أي :لابدّ أن يموت الإنسان.

←ومثال الثانية: اشتريت الكتاب لأقراه؛ يمكن أن يقرأه الإنسان، ويمكن ألا يقرأ.

- العلّة الأولى: يسميها بعض أهل العلم: **بالعلة الغائية**، ما معنى الغائية هنا؟ أيّ: **غاية الشيء**، ومنتهى الشيء، فالشيء ينتهي إليها ولابدّ؛ (خُلقت لتموت) منتهى الإنسان أن يموت ليدخل قبره، ثم يُبعَث.

- ويسميها بعض أهل العلم: **بالعلّة الموجِبة** أي: أنّها توجِب معلولها؛ لابدّ منه.

- ويسميها بعض أهل العلم: **بالعلّة اللازمة**؛ أي: أنّ معلولها لازمٌ لها لا ينفك عنها، يدور معها وجودًا وعدمًا.
- ويسميها بعض أهل العلم: **بالعلّة العقلية**؛ أي: العلّة التي لا تتخلف.

- **وأمّا الثانية:** – وانتبهوا لِمَا أقول – فيسميها بعض أهل العلم: **بالعلّة الغائية**، بمعنى **الغاية من الشيء.**

انتبهوا: الأولى يسميها بعض أهل العلم: العلة الغائية بمعنى: غاية الشيء – يعني منتهى الشيء –؛ والثانية يسميها بعض أهل العلم بالعلّة الغائية بمعنى: الغاية من الشيء – بمعنى: لأجل كذا –، يقال: اشتريتُ الكتاب لأقرأه؛ أي: لأجل أن أقرأه. الغاية من شراء الكتاب أن أقرأه. فتسمى هنا العلّة الغائية بهذا المعنى.

أمّا العلة الغائية الأولى بمعنى: منتهى الشيء؛ فلا يصحّ أن أقول: اشتريت الكتاب لأقرأه، بأن المنتهى سيكون القراءة؛ لأنّه يمكن ألا أقرأ، ممكن أن أشتري الكتاب ويضيع، ما أقرأ. فتسمى إذن **العلّة الغائية** الثانية بمعنى: الغاية من الشيء. ويسميها بعض أهل العلم: **الحكمة** – وهذا أوضح–.

طبعًا إذا قرأتم في بعض الكتب الفلسفية هناك علّة غائية عند الفلاسفة والمناطقة، هذه لا نتكلم عنها، ولا نتعرَّض لها. العلل الأربعة عند المناطقة ليست من الإسلام في شيء؛ فلا نتعرَّض لها.

والله أعلم

وصلى الله على نبينا وسلم.